الفصل الثالث

"دور البربر في الحياة الاقتصادية"

- دور البربر في الجانب الزراعي والري
- المحاصيل الزراعية
- الثروة الحيوانية
- دور البربر في الجانب الصناعي
- الصناعات التي اشتهر بها البربر في بلاد المغرب
- دور البربر في الجانب التجاري
- التجارة الداخلية
- التجارة الخارجية
- طرق التجارة
- الصادرات
- الواردات
- الأسواق
- تنظيم الأسواق
- الرقابة على الأسواق

obeikan.com

obeikan.com

مثلما كان للبربر دور سياسي بارز في بلاد المغرب كتأسيس دول مثل: الأدارسة والرستميين والفاطمية ومشاركتهم في الحكم؛ كان لهم دور كبير أيضاً في الجانب الاقتصادي ساعد على ازدهار الزراعة والصناعة والتجارة.

دور البربر في الجانب الزراعي:

الزراعة أساس الحياة الاقتصادية؛ بل عصب الاقتصاد؛ لأن التقدم في مجالي الصناعة والتجارة لابد أن يسبقه تطور في الإنتاج الزراعي، ولأن بعض المنتجات الزراعية تدخل في الصناعة وكذلك في التجارة فيتم تبادل المنتجات الزراعية في البلد الواحد وبين البلدان الأخرى، وبلاد المغرب على اختلاف بيئتها من منطقة إلى أخرى توجد فيها أماكن زراعية يزرع فيها أنواع من المحاصيل الزراعية على الرغم من أن معظمها صحراوية.

وفي بداية الفتح الإسلامي أدت الحروب التي خاضها المسلمون مع البربر إلى ركود اقتصادي بشكلٍ عام؛ سواء في التجارة أو الزراعة، بسبب انعدام المياه أو خراب الأراضي، أو إتلاف المحاصيل الزراعية، مثلما قامت به الكاهنة عندما علمت بقدوم المسلمين الفاتحين ظناً منها أنهم يريدون السيطرة على موارد البلاد فأمرت بتخريبها[1]، كما زاد الأمر سوءاً الصراعات التي دارت بين الولاة والبربر وكذلك فرض المغارم والضرائب التي أضرت البلاد، يضاف إلى ذلك حروب الخوارج الصفرية والإباضية الذين اعتادوا على نهب الأموال وإحراق المزارع والضياع، مثلما قام به الصفارية من تدمير مزارع طنجة

(١) ابن الدباغ: معالم الإيمان، ج١، ص٦٤. ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص٣٦. الماحم، محمد بن ناصر: حركة الكاهنة في المغرب وموقفها من الفتح الإسلامي، العدد ٢٠، ص٣٩٣ـ ٤٢٤، مجلة جامعة الإمام سعود الإسلامية، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩٩٧م.

وحرقها أثناء حصارهم لبلج بن بشر، وأهدروا المحاصيل الزراعية، وينطبق الشيء نفسه على ثورات البربر؛ كل هذا زاد من سوء الأحوال الاقتصادية، مما أدى ذلك إلى ظهور الفقر وتفشي الأمراض في تلك الفترة(١).

لكن بعض الولاة كان لهم دور كبير في ازدهار الزراعة في بلاد المغرب، مثل حسان بن النعمان، وإبراهيم بن الأغلب؛ ويزيد بن حاتم الذين اهتموا باستصلاح الأراضي الزراعية(٢).

وبعد استقرار الفاتحين في بلاد المغرب أحدثوا ثورة زراعية، قامت على أساس الاهتمام بطرق الري، واستصلاح الأراضي، وتبادل الخبرات بين البربر والمسلمين العرب الفاتحين الذين كان لهم خبرة عظيمة في أمور الزراعة والري؛ الأمر الذي دعم اقتصاد البلاد، وغذى موارد بيت المال من خراج الأرض المزروعة(٣).

- **الري:**

يُعد الري من أهم المنظومات الزراعية من حيث سقاية الزرع بانتظام، وضمان جودة المحاصيل، وتوفير قدر كبير من المياه، وقد نقل المسلمون

(١) وفاء يعقوب جبريل برناوي: دولة بني مدرار الصفرية بالمغرب الأقصى الإسلامي" ١٤٠-٣٤٧هـ/ ٧٥٧-٩٥٨م، ص٨٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٣. محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، ص٢٧٣.

(٣) القفري، علي محمد شايع: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في مدينة مالقة منذ نهاية دولة بني حمود حتى سقوط النفوذ الموحدي" ٤٤٧-٦٤٢هـ/ ١٠٥٥-١٢٤٤م"، ص٤٢، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ٢٠١١م.

الفاتحون من بلادهم خبراتهم في الزراعة والري، وخاصة اليمنيين الذين كان لهم باعٌ طويل في مجال الزراعة والري[١].

ومن أسباب تطور الزراعة وطرق الري توفر المياه، وخصوبة التربة، وتنوع المناخ، وهي من أهم المقومات الزراعية، وكانت مصادر الري في بلاد المغرب متعددة مثل الأمطار، والعيون، والأنهار[٢]، وكان البربر يهتمون ببناء المواجل[٣] والصهاريج، فعلى سبيل المثال كان أهل القيروان يستخدمون ماء المواجل والصهاريج بعد أن تجتمع فيها مياه الأمطار لتستخدم للشرب والزراعة[٤]؛ أما سكان مدينة المهدية فكانوا يشربون من الآبار[٥]، ويذكر أن أكثر ماء بربر مزاته ولواته وهوارة من الصهاريج[٦]، في حين أن بربر مدينة تنس كانوا يستخدمون ماء العيون للشرب والري[٧].

وقد كانت أغلب مناطق بلاد المغرب الإسلامي تعتمد على مياه الأمطار في ري المزروعات[٨]، وهي عادةٌ غير منتظمة وفي المناطق الصحراوية تتساقط

(١) مارغريت لوبيز غوميس: إسهامات حضارية للعالم الإسلامي في أوروبا عبر الأندلس، ج٢، ص١٤٩٧، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط(١)، ١٩٩٨م، بيروت.

(٢) الونشريسي، أحمد بن يحيى: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، ج٥، ص١٢.١٣، ٢٠، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط(١)١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) **المواجل:** عبارة عن أحواض مكشوفة مبنية من الحجر تشبه البرك إذا امتلأت بالماء. (المالكي: رياض النفوس، ج١، ص٢٥٨). ولازال هذا الاسم معروفاً باليمن حتى اليوم.

(٤) مجهول: الاستبصار، ص١١٥، ١١٧. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٨٧.

(٥) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٨٧.

(٦) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٤٨.

(٧) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٥١.٢٥٢.

(٨) الغساني، أبو العباس بن علي بن داود: بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين، ورقة ١٥،

لمدة ثمانية أيام متوالية، وأحياناً يمر عامٌ كامل دون أمطار(١)، وكانت الأمطار عادة تبدأ في بلاد المغرب في منتصف شهر أكتوبر(٢).

أما نظام الري في بلاد المغرب الإسلامي فكان منظماً تنظيماً دقيقاً، فعلى سبيل المثال مدينة تلمسان التي كان المزارعون فيها يتعاونون فيما بينهم على سقاية الأرض؛ فقد كان بها عين ماء مشتركة بين أهلها يسقون منها بساتينهم ومزارعهم بالدور ومقسمه بحسب الأوقات، فمنهم من كان يروي أرضه نهاراً، أو ليلاً، أو من الغداة إلى الزوال، كما كانت تلمسان تشتهر بكثرة قنواتها التي تستمد مياهها من الوادي، وكانت تلك القنوات تتشعب لتروي المزارع والبساتين التي كانت خارج المدينة(٣)، أما مدينة فاس فقد اهتمم سكانها بتنظيم الري في وادي الزيتون، وقد أقيمت سدود على هذا الوادي وتم تنظيم عملية الري من تلك السدود؛ حيث كانت تتفرع من وادي الزيتون في فاس قنوات تروي البساتين الواقعة بعيداً عن ضفاف النهر(٤).

مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب تحت رقم ١٥٥ زراعة، رقم٤١٩٨٥ ميكروفيلم. ابن العوام : أبو بكر محمد بن عمران الإشبيلي(ت ٥٧٥هـ/١١٥٨م): الفلاحة، ج١، ص١٣٥، مدريد، ١٨٠٢م.

(١) الملصي: القبائل اليمنية في المغرب، ص٣٥.

(٢) الحسن الوزان، محمد الزياتي(ت٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م): وصف إفريقية، ص٨٧، ترجمة/ إبيولار وآخرين، ومن الفرنسية إلى العربية عبد الرحمن حميدة، وراجعه/ علي عبد الواحد، الرياض، ١٣٩٩هـ.

(٣) الونشريسي: المعيار، ج٥، ص١١١، ٣٣٥.

(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٠.٢٨.

كذلك قام البربر بحفر الترع والسواقي المتفرعة إلى كل الاتجاهات، ويشير الونشريسي[١] أن سكان أحد الحصون المغربية كانوا يمتلكون عين ماء يقتسمونها على خمس سواقٍ بالتساوي فيما بينهم، والتزموا أن يكون السقي بكل ساقية منها في أوقات معلومة، يأخذه الأعلى فالأعلى من كل ساقية، كما اهتم البربر بجداول المياه الصغيرة مثل مدينة قفصة التي اشتهرت بكثرة العيون والآبار والجداول[٢]، أيضا مدينة تازا كان يوجد بها جداول المياه النقية والعذبة، كما يصفها صاحب كتاب الاستبصار[٣] قائلاً: " إنها تنصب إليهم من الجبال، لا أعلم ببلاد المشرق والمغرب بلداً أخصب منها، ولا أكثر فوائد".

كذلك الآبار اشتهرت في مدن المغرب، وكانت تُعد من أساسيات طرق الري، ومن المدن التي اشتهرت بكثرة آبارها مدينة مراكش[٤]، ومدينة برقة[٥].

يذكر أن معاوية بن حديج الكندي في زمن الفتح عمل على حفر آبار على مداخل مدينة تونس؛ حيث يقيم عسكره[٦]، كذلك القائد أبو مهاجر دينار عندما وصل إلى تلمسان قام بحفر آبار سميت باسمه لتوفير المياه للقوافل التجارية[٧].

(١) المصدر نفسه، ج٨، ص٤٠

(٢) مجهول: الاستبصار، ص١٥٢.١٥٤.

(٣) مجهول، ص١٨٦.

(٤) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١١٢.

(٥) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٨٦.

(٦) ابن الدباغ: معالم الإيمان، ج١، ص١٤١.

(٧) الملصي: القبائل اليمنية في المغرب، ص٣٦.

وأما الأنهار فكثيرة في بلاد المغرب ومنها على سبيل المثال نهرٌ في مدينة مكناسة كان يخترقها[١]، وكذلك نهر زيز في سجلماسة[٢]، كذلك نهر بورقراق الذي ينبع من منطقة زيان ويصب بين مدينتي سلا والرباط، ومنها نهر وادي أم الربيع الذي يُعد من أخصب الأودية في بلاد المغرب، ونهر فاس ويصب في السوس الأدنى[٣].

وكان البربر يهتمون ببناء قناطر المياه ويعملون على ترميمها؛ نتيجة لتعرضها للانهيارات بسبب السيول[٤].

. المحاصيل الزراعية:

كلما تطورت وتحسنت طرق الزراعة، وطرق الري، والحصاد كان المحصول أفضل وأكثر من حيث الكم والكيف، وعلى ذلك يحدد فيما بعد إن كان كافياً للاستهلاك أم سيكون هناك فائضا للبيع والصناعة والتجارة.

وكانت معظم قبائل البرانس تعمل بالزراعة والتجارة[٥]. وكان المغرب ينتج كافة محاصيل الحبوب، فضلاً عن الفاكهة والزيتون والنخيل[٦]، وأدخل

(١) زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٥، ص٨٦.

(٢) محمود مقديش(ت١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م): نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، مج١، ص٥٦، تحقيق/ على الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، د.م، ط(١) ١٩٨٨م.

(٣) الحلبي الفاسي، أبو العباس أحمد بن عبد الحي(ت ٥١٤هـ/ ١١٢٠م): كتاب الدرر النفيس والنور الأنيس في مناقب الإمام إدريس ابن إدريس، ص١٢٤، طبعة فاس، ١٣١٤هـ.

(٤) الونشريسي: المعيار المغرب، ج٥، ص٣٥٠.

(٥) محمد الخطيب: الحياة السياسية في المغرب الإسلامي، ص٢٠. طه عبد المقصود: تاريخ المسلمين في المغرب والأندلس، ص٢٤.

(٦) محمود إسماعيل: الأدارسة (١٧٢ـ ٣٧٥هـ)، ص٤١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط(١)

المسلمون الفاتحون إلى المغرب شتلات وأغراس عديدة، خاصة أهل اليمن الذين اشتهروا بالزراعة وطرق الري وبناء السدود [١].

واشتهرت بعض المدن في بلاد المغرب دون غيرها بزراعة بعض الثمار والحبوب:

مدينة أغمات: تقع بالقرب من مدينة مراكش، واشتهرت بوفرة مياهها، وكثرة بساتينها[٢]، وصفها ابن الخطيب[٣] " إنها بلدة جنة تجري من تحتها الأنهار، وشمامة تتضوع منها الأزهار، متعددة البساتين... كثرة الفاكهة"، وهذه المدينة يسكنها بربر هوارة الذين اشتهروا بزراعة الحناء والكمون[٤].

مدينة فاس: مدينة مشهورة بخصوبة تربتها وبتنظيم الري فيها، ومن إنتاجها الحنطة الرخيصة الثمن، وتوجد بها الكثير من البساتين المنتجة للفاكهة، وخاصة عدوة القرويين التي اشتهرت بالأترج الكبير الحجم[٥]، كذلك اشتهرت بكثرة العنب، وكان يوجد في فاس جبل مشهور يسمى بجبل

١٩٩١م.

(١) مارغريت غومز: إسهامات حضارية، ج٢، ١٤٩٧.

(٢) ابن الخطيب: معيار الاختبار، ص١٦٤.

(٣) : مشاهداته، ص١٠٩. زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٥، ص٩٠.

(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٢٧.

(٥) الزهري: أبو عبد الله محمد بن سليمان الأندلسي(ت القرن السادس/ الثالث عشر الميلادي): كتاب الجغرافية وما ذكرته الحكماء من الغرائب والعجائب، ص١١٤. تحقيق/ محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.

العنب[١]، وعرفت أيضا بإنتاجها للتفاح الذي عُرف بالاطرابلسي[٢]؛ كما اشتهرت بالزيتون[٣].

مدينة تامسنا" بلاد برغواطة": اشتهرت بأعشابها، وكانت توجد فيها الحنطة وخاصة في قرية أم الربيع وكانت تباع بأرخص الأثمان، واشتهرت بزراعة البقول والقطن والكمون[٤].

مدينة سلا: وهي قريبة من مدينة الرباط، وتقع على مصب نهر أبي الرقراق وأهلها يجمعون ما بين الزراعة وتربية الماشية، ويوجد بها الحدائق والبساتين المليئة بالغلات والكروم، وكان يصدر منها القمح إلى سائر بلاد الأندلس منها مدينة إشبيلية[٥].

مدينة مكناسة الزيتون: سميت بهذا الاسم نسبة إلى مكناس البربري لما نزلها مع أولاده عند دخولهم المغرب، واشتهرت بخصوبة أراضيها[٦]. وتقع على ربوة يجري في شرقها نهر صغير، وهي مدينة ذات مزارع كثيرة منتجة للقمح والشعير، ولها ثمار متنوعة منها السفرجل، كذلك الرمان كبير الحجم، وكانت تباع بثمن رخيص، والخوخ الأبيض، وخوخ دمشق؛ كما كان يجنى منها العناب بمقادير وفيرة، وكان ينقل كمية منها إلى مدينة فاس، كذلك وجد بها

(١) الزهري: كتاب الجغرافية، ص١١٥.
(٢) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٠٣.
(٣) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٨٨.
(٤) زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٥، ص٨٤.
(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٣٩ـ ٢٤٠. زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٥، ص٨٤.
(٦) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٤٤.

التين، والعنب، والمشمش والكتان[١]، في بلدة بني عطوش التابعة لمدينة مكناسة كان يزرع فيها أشجار الزيتون والتين والأعناب والفاكهة[٢].

مدينة مراكش: وصفها صاحب كتاب الاستبصار[٣] بقوله: " إن مدينة مراكش اليوم من أعظم مدن الدنيا، بهجة وجمالاً ... وأنها أكثر بلاد المغرب وجنات وبساتين وأعناب وفاكهة"، كما اشتهرت مراكش بزراعة القمح، وإنتاج النخل والعنب والتين والتفاح والأجاص[٤].

السوس الأقصى: ويشمل مدينتي تارودانت، وإيجلي، ويقصد بالسوس عند البربر التربة الخصبة السوداء الزراعية[٥]، وكان يسكن به أخلاط من بربر قبيلة مصمادة، وكانوا يزرعون الحنطة والشعير والأرز[٦] كما كانت تارودانت تشتهر بكثرة الفاكهة والعنب والمشمش والتفاح، بالإضافة إلى شهرتها في إنتاج قصب السكر[٧]، وكان لها مشروب مشهور يسمى آنديز، ويفعل بشاربه ما لا تفعله الخمر لحلاوته وكان يعصر من العنب الحلو[٨].

أما مدينة أيجلي فتُعد قاعدة بلاد السوس الأقصى، وتقع على نهر السوس، وتشتهر بالبساتين وجنات النخيل لذلك كان التمر يباع فيها بسعرٍ رخيص، كما

(١) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٢١٩. ٢٢٠.
(٢) الزهري: كتاب الجغرافية، ص١١٥. زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٥، ص٨٩.
(٣) مجهول، ص٢٠٩. للمزيد انظر الزهري: كتاب الجغرافية، ص١١٦.
(٤) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٣٣.
(٥) زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٥، ص٩٢.
(٦) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٢٨.
(٧) الزهري: كتاب الجغرافية، ص١١٧. زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٥، ص٩٣.
(٨) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٢٨.

اشتهرت بإنتاج قصب السكر، وقيل إن أكثر شرب أهلها ماء السكر " عصير القصب" كذلك عسل السوس الذي كان يدخل في عمل النبيذ الفاخر بعد خلطه بالماء(١).

كذلك وجد بالسوس الأقصى جبل درن الذي اعتبر جنة البلاد لكثرت بساتينه وأشجاره. واشتهر الجبل بالفاكهة المتعددة منها السفرجل، والرمان عالية الجودة، والرخيص الثمن، كما اشتهر الجبل بفاكهة الأجاص، والمشمش والقصب الحلو الذي تهادى الناس به دون بيع نظراً لكثرته، واشتهر أيضاً بشجر الزيتون إلى جانب شجرة الهرجان وتسمى "أرقان البربرية" وكان يستخرج منها كميات هائلة من الزيت الذي كان يستخدم في الطعام والتجميل والتطبيب حتى إنه استخدم في تسريج القناديل نظراً لكثرته(٢).

مدينة القيروان: هي أول مدينة إسلامية بناها المسلمون الفاتحون في المغرب جمعت بين طيب الهواء وعذوبة الماء، وتعتبر من أحسن بلاد الله فاكهة وزروع، وكانت تضاهي مدينة بغداد(٣)، كما كان يوجد بها التين والزبيب، والتمر الذي كان يباع بثمن رخيص(٤).

مدينة تلمسان: سكن بها بربر من المصامدة، وكان بها عيون كثيرة غزيرة المياه كثيرة الزروع، وكان بها بساتين تنتج العديد من الفاكهة مثل العنب، والكرز، والبطيخ، والتين شديد الحلاوة أسود اللون وكبير الحجم؛ إذ كانوا

(١) مجهول: الاستبصار، ص٢١٢.
(٢) لازال هذا الاسم متداولاً حتى اليوم.(زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٥، ص٨٩. ٩٠).
(٣) الزهري: كتاب الجغرافية، ص١٠٩.
(٤) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٨٦.

يقومون بتجفيفه صيفاً وأكله شتاءًا، وأيضا كان يوجد بها الجوز واللوز، ومن الخضار كان يزرع فيها الخيار(١).

مدينة تاهرت: اشتهرت ببلح المغرب، كانت بساتينها مليئة بالأشجار، والفاكهة مثل السفرجل(٢).

مدينة تونس: كان يزرع بها القمح والبرتقال، والليمون، والكروم؛ وكذلك الورد والزهور الجميلة نظراً لكثرة بساتينها(٣).

مدينة ميلة: كانت مشهورة بكثرة البساتين المليئة بالحنطة، والفاكهة، والجوز(٤).

مدينة وهران: مدينة ساحلية عرفت بكثرة البساتين والجنات، والفاكهة متنوعة(٥).

مدينة قسطيلية: كان يسكنها قبائل من بربر ميلة، ونفزاوة، وكانت أراضيها خصبة لزراعة القمح، والشعير(٦) وتميزت بكثرة الفاكهة؛ منها التمور، وكان يباع وقر "حِمل" الجمل بدرهمين(٧).

---

(١) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٣٩١. الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٤٨. محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص١٧٤-١٧٥.

(٢) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٦٩. اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٣٥٠. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٨٩.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٧٤، ٧٦. الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٤٥٠.

(٤) الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص١٦٨.

(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٥٢.

(٦) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص١٦. الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص١٦٦.

(٧) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٩٠. أبو العرب: طبقات علماء إفريقية، ص١٥٦.

obeikan.com

بني زروال: جبل بالمغرب، وتربته خصبة زرع فيها الأعناب، والتين، والزيتون، والكتان، وكان مشهور بصناعة الخمر، وكان يحاط به الكروم، والسفرجل، والليمون، وكانت تصدر الفاكهة منه إلى مدينة فاس(١).

نفزاوة ونقاوس: بلدتان تميزتا بزراعة النخيل والجوز وبعض الثمار الجبلية(٢)، وكان يسكن في نقاوس بربر من مكناسة، وأوروبة وكانت غنية بالحبوب، واللوز، والجوز، والعنب، والقطن(٣).

قرية وادي أم الربيع: كان يسكن بها أخلاط من البربر من قبائل رهونة وبعض من بربر زناتة وتامسنا وبرغواطة، ومطماطة، وبربر زقارة، وكان الوادي معروفاً بزراعة الحنطة والكمون والقطن(٤).

مدينة طرابلس: تقع على البحر كثيرة الفاكهة منها الأجاص، والتفاح، كما كان يوجد بها الألبان والعسل(٥).

مدينة مجانة: كان يسكن بضواحيها بربر من لواتة، وكانوا فلاحين يزرعون القمح ، والشعير، والزعفران والبصل(٦).

---

(١) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٣٤٠.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٩٠.

(٣) الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص١٥١.

(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٣٦.٢٣٧.

(٥) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٨٦.

(٦) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٩٣. الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص١٤٨.

مدينة ماسة: اشتهرت بزراعة الحبوب التي لم يحدد المصدر نوعها[١].

مدينة تنس[٢]: كانت تشتهر بكثرة الحنطة وسائر الحبوب؛ كما كانت مشهورة بكثرة أشجار السفرجل[٣].

مدينة باجة: توجد مابين مدينة القيروان والبحر، وكانت تشتهر بكثرة الحبوب[٤]؛ كذلك بالتين الذي كان يصدر إلى كثير من الأقطار المجاورة مثل الأندلس[٥].

مدينة أزمور: تقع في دكالة، وكان سكان أريافها ينتجون القمح[٦].

مدينة مغيلة: مدينة صغيرة تطل على فاس، وكان بها عيون ماء كثيرة، واشتهرت بزراعة الكتان، كما اشتهرت بغرس أشجار الزيتون في بساتينها[٧].

مدينة طنجة: بها مزارع دائمة الخضرة، وملائمة لزراعة الحبوب، أيضا بها العديد من المزارع المليئة بالبرتقال، والليمون[٨].

---

(١) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٢٥.

(٢) **تنس:** تقع بالمغرب الاوسط بينها وبين وهران ثمانية أيام وبينها وبين البحر ميلان، وهي مدينة مسورة وداخلها قلعة صغيرة، وتواجد بربر من زناتة وهم قبيلة نفزاوة.(البكري: المغرب، ص٢١٤. الشماخي: السير، ج٢، ص٢٣٠).

(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٥١.٢٥٢.

(٤) البكري: المغرب، ص٥٦. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٨٨.

(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٥١.

(٦) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٦٦.

(٧) المصدر نفسه، ص٢٩٨. الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٤٤.

(٨) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٣١٥.

مدينة قابس: مدينة كثر بها النخل، والأعناب، والتفاح[١].

مدينة تادلة: سكانها أخلاط من البربر، وكانت مشهورة بزراعة القطن، وكان يصدر منها إلى سائر الأقطار[٢].

مدينة البطحة: مدينة قديمة تقع مابين تلمسان والجزائر، وفيها سهول واسعة، وكان ينمو فيها القمح بوفرة[٣].

مدينة مليانة: كثر بها زراعة الفستق[٤].

مدينة برقة: مدينة عامرة، ماؤها من الآبار، واشتهرت بأنها مدينة كثيرة الفاكهة، والعسل[٥]، كذلك اشتهرت بزراعة القطن[٦].

مدينة جزولة: كانت أرض خصبة مليئة بالحبوب منها الشعير[٧].

مدينة ترغه: كانت مشهورة بزراعة الشعير[٨].

مدينة سجلماسة: مدينة مشهورة نقية الهواء كثيرة الحبوب منها الحنطة والشعير، وزُرع فيها القطن، والكمون والحناء؛ وكان يباع في سائر بلاد

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٨٦.
(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٤١.
(٣) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٣٩٧.
(٤) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٤٠٦.
(٥) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٨٦
(٦) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٣١١.
(٧) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٥٦.
(٨) المصدر نفسه، ص٣٢٧.

المغرب[١]، كذلك تنوعت بها النخيل وأشجار الفاكهة مثل الأعناب، والرمان[٢].

مدينة قرطاجنة: اشتهرت بزراعة القطن[٣].

مدينة تازة: كانت مدينة مليئة بأشجار الفاكهة؛ مثل مزارع كروم العنب المتنوع منه العنب الأبيض، والعنب الأحمر، والعنب الأسود، وكان يصنع منه اليهود الخمور[٤].

مدينة عناية: مدينة خصبة وسكانها بربر من مصمودة، وأوربة، وكانوا يزرعون الأرض وينتجون القمح والشعير والكتان والفاكهة[٥].

جبل البرانس: يقع شمال تازة، واشتهرت بالبساتين والأشجار المثمرة؛ مثل العنب الأسود الذي كان تصنع منه الخمر[٦].

جبل أزغان: كان غنياً بأشجار الزيتون وأرضه صالحة لزراعة الشعير، والكتان، أما في السهول؛ فكانت تزرع أشجار التوت التي كانت تتغذى عليه دودة القز[٧].

---

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٢٦.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٩١.

(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٧٩.

(٤) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٣٥٨.

(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٣٣. الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص١٦٥. نريمان: مجتمع إفريقية، ص٢٠٦.

(٦) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٣٦١.

(٧) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٣٦٥.(**القز:** هو نوع من الثياب والإبريسيم: أعجمي معرب

مدينة طبنة: من بلاد الزاب كانت مدينة غنية بأنواع الحبوب مثل القمح "البر"، والشعير، والكتان والتمر والقطن، والفاكهة، وكثرة المواشي[١].

مدينة المسيلة: كانت تعتبر قاعدة الزاب، واهم المعاقل في المغرب الأوسط، وكان يسكنها قبائل من البربر منهم بنو برزال، وهوارة، ومزاته، وكانت غنية بالحنطة، والشعير، والثمار، والخضار، والحناء، والكمون والسفرجل[٢].

مدينة دليس: تقع على ضفاف البحر المتوسط، واشتهرت بزراعة القمح[٣].

مدينة بونة: اشتهرت بزراعة الكتان[٤].

مدينة جيجل: اشتهرت بكثرة الحبوب، وإنتاج السمن، والعسل[٥].

مدينة الجزائر "مزغنا": تقع على شاطئ البحر، وفيها قرى وجبال سكنتها قبائل من البربر، وكانت زراعتهم الشعير، والحنطة[٦].

مدينة قفصة: كان يوجد بها بساتين الحناء، والقطن، والكمون[٧].

وجمعه قزوز. ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص٩٦).

(١) الطهار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص١٥١.

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٥٣-٢٥٤.

(٣) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٤١٣.

(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٧٩.

(٥) محمد الطهار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص١٦٥.

(٦) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٥٨.

(٧) المصدر نفسه، مج١، ص٢٧٨.

الثروة الحيوانية:

اشتهرت بلاد المغرب بتربية الماشية؛ نظراً لخصوبة أراضيها وتوفر المراعي الخضراء؛ إذ كان البربر يهتمون بالثروة الحيوانية إلى جانب الزراعة، وكان الرعي حرفه يعمل بها البربر البتر؛ فكان معظمهم بدو رحل يعتمدون على الرعي متنقلين من مكان إلى آخر بحثاً عن الماء والمرعى(١). وقد عاشوا في الصحراء، وقمم الجبال بعيداً عن المدن، وكانوا يسكنون في الخيام، وكانوا يهتمون بتربية الجمال، والخيول(٢)، وكانت تباع خرافهم في معظم بلاد المغرب بأرخص الأثمان لتوفرها(٣).

وكانت الماشية تنقسم إلى قسمين: دواب وماشية. أما الدواب: مثل، الحمار، والبغل، والحصان؛ فكانت تستخدم للتنقل وحمل الأمتعة، وفلاحة الأرض، وأما الماشية: مثل الماعز، والضأن، والبقر، والإبل؛ فكانت مصدراً للحليب، والسمن، واللحم. وكانت تستخدم الإبل في حراثة الحقول، والنقل؛ وخاصة لسكان الصحراء، واشتهرت مدينة تامسنا بتربية الأغنام والإبل، كما عرفت بأسم الشاوية نسبة إلى الشاة(٤).

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص٨. كمال أبو مصطفى: محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته، ص٣١.

(٢) موسى أحمد بني خالد: دور القبائل البربرية في العلاقات السياسية الفاطمية ص٣٥.

(٣) تؤدة محمد على الشريف: العلاقات بين الحجاز وبلاد المغرب في العصر العباسي الأول" ١٣٢ - ٢٣٢هـ/ ٧٥٠ - ٨٤٠ م"، ص٢٢١، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٩٩٩م.

(٤) ابن خلدون: المقدمة، ص١٢١.

- **الغنم والماعز:**

كانت الماعز تكثر على سفوح جبال المغرب، مثل جبل درن" مراكش- السوس"، حيث الأعشاب البرية[١]، كذلك مدينة جزولة اشتهرت بكثرة الماشية[٢]، أما مدينة تاهرت؛ فاشتهرت بكثرة الغنم[٣]، واشتهرت بعض المدن بالرعي مثل مدينة بونة فكان يربى فيها الأغنام والماشية في حقولها الخصبة[٤]، وجبل كبدانة الممتد من غساسة[٥] حتى نهر ملوية باتجاه الشرق كان يشتهر بكثرة الماشية[٦]، ومدينة شرشال التي كان يسكنها قبيلة من البربر تسمى ربيعة اشتهرت بكثرة المواشي؛ وخاصة الأغنام، كذلك اهتم بربر سجلماسة بتربية الأغنام[٧].

- **الجمل:**

كان أهم وسيلة للنقل وحمل البضائع ما بين مدن بلاد المغرب؛ مثل فاس، ومكناس وتازا، ومراكش، وتارودانت وأغمات، وكانت تعرف بالإبل الواردة، والإبل الصادرة؛ نظراً لكثرة القوافل[٨]، وأشهر من كانوا يربون الإبل السريعة

(١) زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٥، ص٩٩. ١٠٠.

(٢) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٥٦.

(٣) الطهار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص١٧٢.

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٧٧.

(٥) **غساسة:** مدينة في المغرب وتقع على الضفة الغربية من نهر ملوية.(الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٦٢٦).

(٦) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٣٤٧.

(٧) ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف القرطبي(ت٤٦٩هـ/١٥٠٧م): المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص٢٦٦-٢٧٤، تحقيق/ محمود مكي، دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٧٣م،(د. ط).

(٨) مجهول: الاستبصار، ص١٨٦.

بربر رهانة، الذين سكنوا بالقرب من جبل نفوسة[١].

- **عجل البقر:**

كان يوجد بمراكش نوعان من عجل البقر المراكشي هما:

الأول: ذو القتب، ويرجع أصلاً إلى جبال أطلس وهو داكن اللون، والثاني: يسمى الزايري وهو أكبر حجماً من ذي القتب[٢]، وكانت مدينة الجزائر تشتهر بكثرة المواشي والأبقار[٣]، كذلك مدينة تدلس اشتهرت بكثرة أبقارها[٤]، كما اهتم بربر مدينة عنابة من قبائل مصمودة بتربية البقر، وكانوا يصنعون الكثير من السمن[٥]؛ كذلك اهتم بربر سجلماسة بتربية الأبقار[٦].

- **الخيل:**

كانت تشتهر بلاد المغرب بتربية الخيل المغربية الأصيلة، وكان هناك نوع آخر من الخيول يسمى خيل الركوب أو مطية الفرسان، ووصف صاحب كتاب الاستبصار[٧] خيل جبل فازاز بأنها من أفضل الخيول المعروفة بالقوة والسرعة، وكانت هناك بعض مدن المغرب الإسلامي مشهورة بتربية الخيول؛ مثل جبل البرانس شمالي تازة[٨] كذلك مدينة طبنة اشتهرت بكثرة الخيول

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٩٩.
(٢) زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٥، ص١٠١.
(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٥٩.
(٤) المصدر نفسه، مج١، ص٢٥٩.
(٥) الطهار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص١٦٥.١٦٦.
(٦) ابن حيان: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص٢٦٦.٢٧٤.
(٧) مجهول: ص١٨٧.
(٨) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٣٦٠.٣٦١.

والبغال[١]، ويذكر أن عقبة بن نافع غنم من مدينة باغاية خلال مهاجمته للبربر والروم خيولًا من جبال الأوراس التي لم يكن لها مثيل في القوة السرعة[٢]؛ كما اهتم بربر سجلماسة بتربية الخيول[٣].

- **النحل:**

كان هناك مناطق شهيرة في جبال المغرب اشتهرت بمناحل العسل، ومن أشهرها في منطقة أيجل عاصمة منطقة السوس[٤].

كذلك تاغوداست إحدى مدن هكسورة كانت مشهورة بإنتاج العسل، وهو نوع أبيض كاللبن، ونوع آخر أصفر اللون فاتح كالذهب[٥]، كذلك اشتهر بربر مدينة مليلة بإنتاج كمية كبيرة من العسل، ومن هذا اشتق اسمها التي كانت تعرف باسم ملالة، وهو اسم العسل في لغة البربر الأمازيغية[٦].

- **الثروة السمكية:**

تعد الثروة السمكية من الثروات المهمة في بلاد المغرب؛ نظراً لأنها مصدر من مصادر الغذاء خاصة وأنها متميزة بموقعها الجغرافي؛ حيث يقع البحر المتوسط الأبيض شمالاً والمعروف بتياراته الدافئة الملائمة لتكاثر السمك وأيضاً وقوعها على البحر غرباً والمعروف بالمحيط الهادي[٧]؛ لذا فقد وجدت

(١) الطهار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص١٥١.
(٢) البكري: المغرب، ص١٤٥.
(٣) ابن حيان: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص٢٦٦.
(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٢٥٨. زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٥، ص٩٨.
(٥) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٧٤.
(٦) المصدر نفسه: ص٣٤٤.
(٧) المقصود به المحيط الأطلسي، ولا زالت أهم مصائد الأسماك في العالم هي شواطئ المملكة المغربية.

الثروة السمكية بشكل كبير حتى أن أسعارها كانت رخيصة لتوفرها[١].

وإلى جانب البحار وجدت الأنهار التي يعيش فيها الأسماك؛ مثل نهر فاس" وادي سبو" فيه أسماك مثل البوري والقرب، والشولي، والشايل، وكانت كبيرة الحجم، ويصف صاحب كتاب الاستبصار[٢] الشولي بقوله: " يصنع منه الألوان بأصناف البقل بدل اللحم فلا تشم له رائحة سمك"، كما وجد بنهر شلف سمك الشهبوق، وهو سمك طوله ذراع ولحمه طيب إلا أنه كثير الشوك[٣].

بالإضافة إلى البحار والأنهار وجدت بحيرات اشتهرت بتواجد الأسماك فيها؛ مثل بحيرة مدينة بنزرت[٤]؛ إذ كان يظهر فيها كل سنة نوع من السمك يخالف النوع الذي قبله[٥]، وكان بربر مدينة باديس[٦] ماهرين في صيد الأسماك؛ منها سمك السردين، وكانوا يملحونه ويرسلونه إلى سكان الجبال[٧].

كذلك كان يوجد في ساحل تونس أنواع من السمك، وكان يملح ويبقى طيب الطعم[٨]؛ كما كان يوجد سمك الألور في مدينة أزمور، وكان يحتوي هذا السمك على الدهن أكثر من اللحم، ويستخدم دهنه للقلي، ولإشعال القناديل

(١) زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٥، ص١٠٢.
(٢) مجهول: ص١٨٤. ١٨٥.
(٣) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٤٨.
(٤) البكري: المغرب، ص٧٤. الزهري: كتاب الجغرافية، ص١٠٧.
(٥) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٤٨.
(٦) **باديس:** مدينة بالمغرب وبها جامع وأسواق وبسائط ومزارع جليلة.(الزهري: الجغرافية، ص١١٣. البكري المغرب، ص٢٥٧).
(٧) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٣٢٨.
(٨) المصدر نفسه، ص١٧٣. نريمان: مجتمع إفريقية، ص٢٠٨.

ويأتي التجار من البرتغال كل سنة لشراء كمية كبيرة من هذا السمك[١].

أما مدينة مليلة فاشتهرت بصيد محار اللؤلؤ[٢]. كما استخرج المرجان من شواطئ مدينة مرسى الخرز، فلم يكن متوفراً إلا في هذه الشواطئ[٣].

دور البربر في الجانب الصناعي:

تعد الصناعة الركيزة الثانية في بناء الاقتصاد بعد الزراعة، وبها يتحول المجتمع من زراعي إلى صناعي، وهي تشمل كل الأعمال التي يقوم بها الإنسان وتعينه في الحصول على ما يحتاج في الحياة. فقد كانت الصناعة منتشرة على نطاق ضيق بين البربر قبل الإسلام؛ لكن احتكاك البربر بالفينيقيين والرومان واليهود ومن ثم المسلمين الفاتحين كل هؤلاء أثروا على حياتهم ونشاطاتهم، وأصبح لهم حظ أوفر، فازدهرت المدن والقرى مما شجع على تطور الصناعة[٤].

الصناعات التي اشتهر بها البربر في بلاد المغرب:

اشتهرت بلاد المغرب الإسلامي بالعديد من الصناعات التي اعتمدت على مواد خام متوفرة في البلاد بحكم إنتاجها الزراعي، والحيواني، والثروة المعدنية، وقد اشتهر البربر بتنوع الحرف التي كانوا يمارسونها ما بين صناع وحرفيين، أو تجار، أو رعاة للإبل والغنم؛ الأمر الذي وفر لهم مصدراً مهماً لصناعة دبغ الجلود، ومشتقات الألبان، وصناعة تكرير السكر، وتجفيف

(١) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٦٦ - ١٦٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٤٤.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٨٨. نريمان: مجتمع إفريقية، ص٢٠٩.

(٤) الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص١٤٦.

الفاكهة، وطحن الحبوب، وعصر الخمر، وتكرير الملح؛ كما أن بعض البربر بحكم سكنهم في المدن اهتموا بصناعة الزجاج، والخزف، والأواني الفخارية، وأنواع المعادن؛ مثل الذهب والفضة والنحاس والحديد، كما اهتموا بصناعة التحف، والعطور ومن الصناعات التي اشتهرت بها بلاد المغرب:

- **أنتاج الزيوت:**

اشتهرت مدينة مكناسة بإنتاج زيت الزيتون نظراً؛ لكثرة أشجار الزيتون، والهرجان(١)، كذلك مدينة أيجلي عاصمة السوس الأقصى اشتهرت باستخراج زيت الهرجان(٢)؛ كما عرفت مدينة صفاقس في كل مدن الساحل بإنتاج الزيت(٣) ومدينة تونس اشتهرت بكثرة معاصر الزيت، وكان البربر يصدرونه إلى مصر؛ كما كان يصنع منه حطب الزيتون "الفحم" الذي كان يستخدم للتدفئة(٤)، أيضا اشتهر بربر قبيلة هكسورة بتكرير الزيت(٥).

- **صناعة تكرير السكر:**

كان وادي السوس مشهوراً بإنتاج السكر، وخاصة في مدينة تارودانت، وكان سكانها يعملون مشروبهم الخاص من السكر(٦)، كما اشتهرت مدينة أيجلي بتكرير السكر، وكان لأهلها مشروبهم الخاص من عصير السكر(٧).

---

(١) الزهري: كتاب الجغرافية، ص١١٥.
(٢) مجهول: الاستبصار، ص١٨٧.
(٣) زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٧، ص١٧٢.
(٤) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٤٥٠.
(٥) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٧١.
(٦) الزهري: كتاب الجغرافية، ص١١٧.
(٧) مجهول: الاستبصار، ص٢١٢.

- **استخراج الملح وتكريره:**

اشتهر البعض من البربر في استخراج الملح، وخاصة من الصحراء القريبة من مدينة وليلي[١].

- **تجفيف الفاكهة:**

عمل الكثير من البربر على تجفيف الفاكهة، وخاصة في الأقاليم الغنية بأشجار الفاكهة، ففيها كان يجفف العنب لعمل الزبيب، وكذلك لصناعة النبيذ[٢].

- **عصر الخمر:**

على الرغم من العقوبات التي نزلت في شارب الخمر؛ إلا أن عصره زاد نظراً لكثرة الأعناب، فجبل درن اشتهر بزراعة العنب، واشتهر قاطنوه من البربر بصناعة الخمر[٣]؛ كما اشتهر جبل رهونة بعصر النبيذ الأبيض والأحمر[٤]، كذلك بنو زروال اشتهروا بعصر الخمر لأن جبلهم مشهور بكثرة الأعناب[٥].

- **صناعة غزل النسيج:**

اشتهرت مدينة سجلماسة عن كل نواحي المغرب الأوسط بصناعة غزل النسيج، وخاصة في عهد بني مدرار بصناعة الثياب الصوفية؛ حتى ضاهت

(١) البكري: المغرب، ص١٢٠.١٢٢.
(٢) زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٧، ص١٧٣.
(٣) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٣٤٠.
(٤) المصدر نفسه: ص٣٢٢.
(٥) المصدر نفسه، ص٣٣٩.

obeikan.com

المنتجات المصرية[١].

كان البربر يستخدمون الصوف كثيراً في صناعة النسيج، وبما أن الضأن كان موجوداً بكثرة في الإقليم فقد توفر الصوف، وكانت النساء تحسن غزله بامتياز، وكان بربر سجلماسة يقومون بصناعة الأثواب مرتفعة الأثمان نتيجة لجودته؛ حيث كان يصل سعر الواحد منها عشرين إلى خمسة وثلاثين مثقال[٢]؛ كما كانت تنسج سراويل من الصوف تزيد حسناً عن سراويل القصب المصرية[٣]، كما كان يصنع بربر بلاد السوس الأقصى الثياب الرفيعة[٤]، واشتهر بربر مدينة فاس بنسج الصوف، فقد كانوا يقومون بشراء جلود الخرفان من الجزارين ويعملون على غسلها وكشط الصوف عنها؛ ليستعمل في النسيج؛ أما الجلد فكان يدبغ[٥].

كذلك اشتهرت مدينة تاهرت بالمنسوجات الصوفية، والكتانية، والحريرية[٦]، كما عمل بربر مدينة قسنطينة بنسج الأقمشة الصوفية[٧]، في حين عمل بربر مدينة مكناسة بصناعة النسيج في منازلهم[٨].

وهناك عوامل ساعدت إلى ازدهار صناعة غزل النسيج في بلاد المغرب،

(١) محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب، ص٢٧٦.
(٢) البكري: المغرب، ص١٤٧.
(٣) زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٧، ص١٧١.
(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٢٧.
(٥) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٢٤٨.
(٦) محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب، ص٢٧٦. بونار، رابح أحمد: المغرب العربي تاريخه وثقافته، ص٤٣، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر.
(٧) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٤٢٨.
(٨) مجهول: الاستبصار، ص١٣٨.

من أهمها توفر القطن في مدينة قرطاجنة والمسيلة، كذلك تربية دودة الحرير "القز"، وتوفر أشجار التوت التي تتغذى عليه في مدينة قابس، كذلك توفر الصوف نظراً لكثرة الثروة الحيوانية، والكتان بكثرة في مدينة بونة، وقد اشتهر أهل مدينة قابس بنسج الحرير والصوف(١)، كذلك بربر مدينة شرشال اهتموا بصناعة الحرير؛ نظراً لوجود أشجار التوت الأبيض والأسود ودودة القز(٢)، أيضا اشتهر أهل مستغانم بعمل نسيج الكتان(٣)، وبربر مدينة صفاقس اشتهروا بنسيج الجوخ، أما مدينة قفصة فكانت مشهورة بصناعة أردية وعمائم من الصوف(٤)؛ كما وجد الصوف في مدينة سوسة(٥)، كذلك بربر ميلة كانوا ينسجون الصوف الذي تصنع منه الأغطية والشراشف(٦).

أما أفزة التابعة لمدينة تادلة فاشتهرت بصناعة البرانس؛ نظراً لوجود النساء الماهرات اللاتي يجيدين شغل الصوف والخمارات(٧).

ولم يكتف بربر مدينة سوسة باستخدام المواد الأولية في صناعة الأقمشة، مثل خيوط الصوف والحرير الملونة بل كانوا يخلطون النسيج بخيوطٍ من الذهب أو الفضة أو من المعدن فكانت تعطي بريقاً في ضوء الشمس، كذلك استخدم للصوف الأصباغ الطبيعية مثل اللونين الأزرق والأصفر، وكانت

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٧٩.
(٢) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٤٠٥.
(٣) المصدر نفسه، ص٤٠١.
(٤) زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٧، ص١٧٠. ١٧١.
(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٢٥.
(٦) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٤٣٢.
(٧) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٩٠.

مدينة توزر معروفة بصناعة الأصباغ اللامعة[١]، وكان معظم الصباغين يشتغلون بجوار النهر لكي يغسلونها[٢]؛ كما اشتهر بربر مدينة دليس بالصباغة لكون المدينة تقع على شاطئ البحر المتوسط[٣].

- **دبغ الجلود:**

اشتهر بعض البربر بدباغة الجلود، وخاصة بربر غدامس؛ لكونها مدينة صحراوية عمل سكانها برعي المواشي للحصول على الجلود، فذاع صيتها حتى أصبحت مركزاً كبيراً للدباغة[٤]، وكان بربر مدينة تيوت يصنعون ما يسمى بالقرطوني الفاخر وهو نوع من جلد الماعز أو الضان[٥]، كما اشتهر بربر مدينة قابس بدبغ الجلود وبيعها[٦]؛ كذلك اشتهر بربر مدينة برقة بدبغ جلود النمور الواصلة إليهم من المناطق الأخرى؛ مثل مدينة أوجلة القريبة من منطقة إجدابية[٧]، أيضا اشتهر بربر قبيلة هكسورة بدباغة الجلود وصناعة سروج الخيول[٨].

أما بربر مدينة فاس فقد اشتهروا بغسل صوف جلود الخراف والضأن وكشطها ومن ثم دباغتها؛ كما كانوا يشترون جلود الماعز والثيران ويقومون

(١) زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٧، ص١٧٢.
(٢) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٢٤٩.
(٣) المصدر نفسه، ص٤٢٣.
(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٧٧٦.
(٥) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٢٨.
(٦) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٧٩.
(٧) المصدر نفسه: مج١، ص٣١١.
(٨) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٧٢.

بدباغتها[١]، كما اشتهر بربر جبل بني زكان القريب من مدينة فاس بدباغة جلود الثيران وبيعها[٢]، كذلك اشتهر سكان القيروان وتفننوا في المصنوعات الجلدية؛ إذ كانوا يعملون على تطريزها بأسلاك من الفضة وهذا يدل على تقدمهم في صناعاتهم[٣].

- الصناعات المعدنية:

عرفت بلاد المغرب بثرواتها المعدنية وخاصة معدن النحاس، فقد كان يوجد في منطقة أغمات النحاس الأحمر والملون، وكانت القوافل تحمله ليباع في سائر بلاد السودان، وفي مدينة داي الواقعة أسفل جبل درن على بعد مرحلة من تادلة كان بها منجم للنحاس؛ يميل لونه إلى البياض وكان يدخل في لحام الفضة، أما منطقة السوس الأدنى فاشتهرت بالنحاس الأصفر، فقد وجد في مدينة فاس بوادي سبو، وكان يستخرج ويصنَّع ويصدر إلى بلاد السودان وبلاد المشرق[٤].

أما معدن الحديد؛ فيأتي بعد معدن النحاس من حيث كمية الاستخراج، وكان يوجد الحديد في أكثر من مكان مثل مدينة مجانة[٥]، ومليلة، وغساسة، وبالقرب من أبي الرقراق[٦]، ومدينة بونة[٧]؛ كذلك وجد بمدينة جزولة التي

(١) المصدر نفسه، ص٢٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٢٢.

(٣) أبو القاسم محمد كرو: عصر القيروان، ص٢٧، ط(٢)١٩٨٩م، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق.

(٤) الزهري: كتاب الجغرافية، ص١١. الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٤١. زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٥، ص١٠٣.

(٥) اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٣٤٩.

(٦) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٣٤٤.

(٧) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٨٨. القلقشندي، أبو العباس أحمد(ت ٨٢١هـ/١٤١٨م):

اشتهرت بمناجم الحديد والنحاس على السواء، وكانوا يصدرونه إلى كل مكان، ويقايضونه بالأقمشة، والتوابل والخيول وجميع ما يحتاجون إليه[١].

وكان يستغل بعض المعادن من قبل بعض القبائل التي تسيطر على استخراجه، فقبيلة كتامة البربرية كانت تسيطر على مناجم النحاس، والحديد في المناطق التي تقترب من الساحل[٢].

أما معدنا الذهب والفضة فقد وجد بمدينة سلجماسة[٣]، أيضا وجدت الفضة بالقرب من مدينة سلا[٤]؛ كذلك وجد منجم للفضة في مدينة مجانة، وكانت تسيطر عليه قبيلة لواتة البربرية القاطنة في تلك المنطقة[٥].

- **صناعة الذهب والفضة:**

عمل بعض من بربر سجلماسة في صياغة الذهب[٦]، كما اشتهر بربر مدينة سلا باستخراج الفضة وصياغتها[٧].

- **صناعة النحاس:**

العديد من مدن البربر اشتهرت بصناعة النحاس التي امتهنها بربر السوس

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٥، ص١٠٦، القاهرة، ١٩٢٢م.

(١) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٥٦.

(٢) اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٣٤٩. ابن حوقل: صورة الأرض، ص٨٤.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٩١.

(٤) الزهري: كتاب الجغرافية، ص١١٥.

(٥) البكري: المغرب، ص١٤٥.

(٦) مجهول: الاستبصار، ص١٦٥.

(٧) الزهري: كتاب الجغرافية، ص١١٥.

الأقصى، أما مدينة إيجلي فكانت الأولى في هذا المجال[١]، وكذلك مدينة فاس تُعد من أكبر المراكز لصناعة النحاس الأصفر، وراجت الصناعة كثيراً حتى كان يصدر إلى كثيرٍ من البلدان وخاصةً السودان[٢]، كما برع بربر مدينة سبتة في صناعة الأدوات النحاسية مثل الصحاف، والمحابر التي كان عليها طلب كبير لجودتها[٣].

- **صناعة الحديد:**

كان الحديد متوفراً ما بين مدينة مليلة، وغساسة، ومدينة بونة، وبرع البربر في استخراج الحديد وتصنيعه[٤]؛ كما وجد في مدينة جزولة، وكان أهلها يصنعون أوعية عديدة من الحديد والنحاس، يحملونه ويبيعونه في إنحاء المعمورة[٥] وكان بربر لمتونة الذين سكنوا مدينة نول يصنعون الحدوات للخيول والإبل[٦]؛ كذلك بربر جبل بني سعيد كانوا يقومون باستخراج الحديد، ويصنعون منه الفؤوس، والمناجل، والأسلحة[٧].

- **الصناعات الأخرى:**

اشتهر بعض من البربر باستخراج الإثمد، وتصنيع الكحل، والرصاص،

(١) المراكشي: المعجب، ص٢٦٤.
(٢) الزهري: كتاب الجغرافية، ص١١٧. الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٢٧.
(٣) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٣١٨.٣١٩.
(٤) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٨٨.
(٥) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٥٦.
(٦) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٢٤.
(٧) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٣٤٨.

منهم بربر مدينة مجانة[١]؛ كما اشتهر بربر جبل رهونة بصناعة الصابون، وتكرير الشمع[٢].

- **استخراج العنبر:**

اشتهر البربر بشكل كبير باستخراج العنبر، وخاصة في المغرب الأقصى بالقرب من ساحل المحيط[٣].

- **صناعة العطور:**

بسبب كثرة النباتات العطرية في بلاد المغرب راج بين البربر صناعة العطور؛ فكان بربر مدينة قفصة يصنعون ماء له رائحة نفاذة من الورد الأبيض شبيه بعطر الجوري، الذي كان يصدر إلى مصر[٤]؛ كما اشتهرت مدينة تونس بصناعة العطور[٥].

.صناعة الأواني الفخارية والخزف والزجاج:

اشتهر بربر مدينة قفصة بصناعة الأواني الفخارية؛ منها أكواز الماء التي كانت مخصصة للشرب[٦]، فقد اشتهر بربر مدينة فاس بعمل الفخار وكانت زخرفتهم واضحة على آنيتهم[٧]؛ كذلك اشتهرت مدينة سوسة بصناعة الخزف

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤١٧.
(٢) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٣٢٢.
(٣) المراكشي: المعجب، ص٢٦٤.
(٤) زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٧، ص١٧٣.
(٥) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٤٥٠.
(٦) مجهول: الاستبصار، ص٧٦.
(٧) روجي لوطورنو: فاس قبل الحماية، ج١، ص٥١٥.

والأباريق وكل الأوعية غير المطلية وتصديرها[١]، كما كان بربر قفصة وبجاية يصنعون الزجاج، وأواني أخرى مذهبة ومزخرفة؛ كما اشتهر بربر مدينة طُرة[٢] في بلاد الجريد بصناعة الزجاج[٣]، واشتهر بربر مدينة مليانه بصناعة أواني من الخشب[٤]، كذلك بربر تاهرت اشتهروا بصناعة الخزف والزجاج والأثاث من الخشب المنحوت، والمرصع بالعاج والصدف[٥].

- **صناعة المراكب والسفن:**

ازدهرت صناعة السفن في عهدي الأدارسة والأغالبة وصنع الأغالبة سفناً مزودة بالمنجنيق، نافسوا بها سفن البحرية البيزنطية وقضوا عليها[٦]، ووجد بمدينة بجاية دار لصناعة المراكب والسفن والحراب؛ نظراً لكثرة الأخشاب في جبالها وأوديتها[٧]؛ كذلك اشتهرت مدينة تونس في عهد حسان بن النعمان بصناعة السفن لتوفر الأخشاب بها[٨].

(١) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٤٥٦.

(٢) **طرة:** مدينة صغيرة من مدن نفزاوة. (الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٣. الحميري: الروض المعطار، ص٣٨٧).

(٣) الحميري: الروض المعطار، ص٥١٥. زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٧، ص١٧٤.

(٤) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٤٠٦.

(٥) بونار رابح: المغرب العربي، ص٤٣.

(٦) الحسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب، ص١٦٠.

(٧) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٦٠.

(٨) الجنحاني، الحبيب: المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص٧٩، تونس، ١٩٧٨م.

ثالثاً/ التجارة:

اشتهرت التجارة بين سكان بلاد المغرب الإسلامي؛ إذ كانت التجارة تعتبر وليدة الزراعة والصناعة، وتتطلب التجارة معرفة التجار بالطرق التجارية، والقدرة على السفر والترحال الطويل، فكان البربر يخرجون بتجارتهم إلى بلاد ما وراء الصحراء جنوباً، وإلى بلاد الأندلس وصقلية شمالاً وإلى مصر والشام والعراق شرقاً، كما اهتم التجار بتعبيد الطرق التجارية، وإقامة نقاط حراسة على طرق التجارة، فقد ازدهرت التجارة في المغرب الإسلامي؛ لعدم فرض الكثير من المكوس والضرائب الباهظة على التجارة في المدن المغربية، بالإضافة إلى أن تنوع المحاصيل الزراعية والمنتجات الصناعية في بلاد المغرب الذي زاد من حجم موارد الدولة؛ فكان تجار البربر يخرجون من بلاد المغرب محملين بالزيتون، والملح، والحديد، والأواني النحاسية، والخزفية الملونة، والمنسوجات، والجلود، ويعودون محملين بمنتجات البلاد التي يتاجرون معها[١]، وكانت التجارة نوعين داخلية وخارجية:

- التجارة الداخلية:

بعد أن اتسعت حدود الدولة الإسلامية في المغرب، واتسع نطاقها، وتنوعت مواردها ومصادرها خلال هذه الفترة؛ كانت التجارة الداخلية تتم داخل نطاقين متجانسين: النطاق الإقليمي المحدود بمنطقة واحدة ومدن متجاورة والنطاق الأكثر اتساعاً بين مدن ومناطق متباعدة[٢]، وكانت التجارة

(١) الملصي: القبائل اليمنية في المغرب، ص٩٦.٩٧.

(٢) عبد المنعم محمد الصادق: في تاريخ المغرب الإسلامي دراسة للحياة السياسية والاقتصادية بإفريقية(٢٦١-٣٦٥هـ/٨٧٥.٨٧٦م)، ص١٠٣، ط(١)٢٠١٤، دار الكر العربي، القاهرة.

الداخلية ترتبط بطرق القوافل التي انتشرت بين مدن المغرب؛ مثل طريق برقة، وإجدابية، والقيروان وغيرها من المدن[١]، وبفضل الإنتاج الوفير كان تجار مدينة فاس ومراكش يأتون إلى مدينة تيوت التابعة للسوس الأدنى لشراء السكر والتمور منها، وكان يجلب إليها الزيت من جبال مراكش ويباع مقايضةً بالذهب أو الفضة[٢]، كذلك كان القمح يستورد من مدينة فاس إلى مدينة درعة[٣]، كما كان بربر بني زروال يقومون بتصدير الكروم، والسفرجل، والليمون إلى مدينة فاس[٤]؛ كما كان يجلب إلى مدينة قفصة من المناطق المجاورة لها الحنطة؛ لأنها كانت قليلة بها[٥].

أما بربر مدينة قابس فكانوا يتاجرون بالزيتون والزيت والتمر في أنحاء مدن المغرب[٦]، في حين أن بربر إقليم بجاية كانوا يتاجرون بمادة الزفت، والقطران البالغ الجودة، ويبيعونه في مدن المغرب[٧]، وأيضا بربر هكسورة كانوا يبيعون الزيت في المدن المجاورة للصحراء، ويذهبون إلى مدينة فاس ومكناس لبيع الجلود، والسروج، ومقايضتهم بقماش الكتان[٨]، في حين أن بربر جبل بني سعيد الممتد من مدينة غساسة إلى نهر نكور كانوا ينقلون منه

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٤٥.
(٢) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٢٧.
(٣) المصدر نفسه، ص٤٩٢.
(٤) المصدر نفسه ، ص٣٤٠.
(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٧٨.
(٦) المصدر نفسه،، مج١، ص٢٨٠.
(٧) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٧٨.
(٨) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٧٢. ١٧٥.

الحديد إلى فاس على شكل سبائك[١].

أما بربر مدينة سوسة فعملوا على تصدير الخزف إلى مدن الساحل؛ منها مدينة تونس[٢]، وأما بربر منطقة بادس، من سكان الجبال فكانوا يقومون بقطع الأخشاب وتصديرها إلى مختلف البلاد؛ لجودتها في صناعة القوارب، والطرادات وهي نوع من أنواع السفن[٣].

ومن أهم المدن والمراكز التجارية الداخلية في بلاد المغرب مدينة تادلة؛ حيث كان يأتي إليها التجار من كل مكان لشراء عباءة البرنس السوداء[٤]، وكانت مدينة قسنطينة تتميز بأنها مدينة واسعة، وأسواقها عديدة ومنظمة، وكان أهلها يتاجرون مع بقية مدن المغرب الإسلامي بالأقمشة الصوفية، وكان التجار يجلبون الزيت والحرير إليها، كذلك الأقمشة الكتانية التي كانت تقايض بالتمور الرخيصة الثمن[٥].

أما طرابلس فهي من أشهر وأكبر مدن المغرب، وتعد من أهم المراكز في الشمال الإفريقي نظراً لموقعها الاستراتيجي المتحكم في طرق القوافل التجارية القادمة من القيروان إلى طرابلس أو العكس، وكذلك القوافل التجارية القادمة من مصر، وكانت تسيطر على طرق التجارة الداخلية، وكانت عائداتها من الضرائب كبيرة جداً، وتعد أهم مورد مالي لطرابلس؛ حيث كانت تفرض الضرائب على الجمال والأحمال والمحامل والبغال والرقيق والغنم، وكل ما يرد

(١) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٣٤٨.
(٢) المصدر نفسه، ص٤٥٦.
(٣) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٣٢٨.
(٤) المصدر نفسه، ص١٨٤.
(٥) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٤٢٨.

إليها[١].

أما مدينة بجاية فتعد من أشهر المدن التجارية بالمغرب الأوسط؛ فكانت تأتي إليها القوافل عن طريق البر والبحر محملة بالبضائع، وعمل أهلها بالتجارة، والصناعة، وكان يأتي إليها تجار المغرب الأقصى، وتجار الصحراء وتجار المشرق[٢].

وكذلك القيروان اشتهرت بكثرة تجارتها وأموالها وأسواقها بفضل نشاطها التجاري، سواء في الداخل أم الخارج، وسبب ذلك أنها تُعد ملتقى القوافل التجارية الداخلية والخارجية وكانت تحمل من تونس إلى القيروان القنب، والقطن، والعسل، والسمن، والحبوب، والماشية[٣].

أما مدينة فاس التي كان يسكنها بربر زواوة، وبربر غياتة، وجاصة، وبنو يوسف، فكانت تقصدها القوافل التجارية من المدن المجاورة لها، ويجلب إليها الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة، وأكثر تجارتهم مع مدينة سبتة عبر بحر الزقاق[٤].

دور البربر في الجانب التجاري:

اعتمدت التجارة الخارجية على الصادرات والواردات بحكم توفر المنتجات الزراعية، والثروة الحيوانية، بالإضافة إلى المنتجات الصناعية للبربر في بلاد المغرب الإسلامي، فكان لابد من تصديرها للبلدان المجاورة وكانت

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٧٠. ٧١.
(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٦٠.
(٣) المصدر نفسه، ص٩٤.
(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٤٦.

تربط البربر علاقات تجارية مع البلدان المجاورة مثل: مصر والسودان، وبلاد كان يفصلها عنها بحر مثل: بيزنطة والأندلس والمدن الإيطالية والبرتغال.

ـ طرق التجارة:

بلاد المغرب ذات مساحة واسعة مما جعل طرق القوافل التجارية كثيرة ومتشعبة، وكان البربر يعملون على تأمين طرق التجارة وحمايتها من السرقة وقطاع الطرق خاصة في عهد الدويلات المستقلة منها دولة الأغالبة التي عملت على توفير الأمن والحماية للأهالي في المدن والطرق التجارية؛ مما أدى إلى انتعاش التجارة(١).

وأهم الطرق التجارية التي تربط بين مصر والمغرب الطريق الأولى: الساحلية وكانت تُعد أكثر أماناً وراحة للقوافل؛ وتبدأ من الفسطاط وتتجه غرباً إلى القيروان والسوس، أما الطريق الثانية: فكانت تمر بالواحات الداخلية وتتجه إلى السودان غرباً ومن ثم إلى غانا، وأما الطريق الثالثة: فكانت تمر من مصر إلى البهسا، ومن ثم إلى سجلماسة، ولم تكن آمنة؛ نظراً لقطعاع الطرق الذين كانوا يتواجدون بها.

وتعد الطريق الأولى الأكثر شهرةً وأمناً للتجار والحجاج(٢)؛ كذلك كانت تُعد مدينة سجلماسة حلقة وصل بين المغرب وبلاد السودان، وكان بربر زويلة ومسوفة وجدالة يقومون بحماية طرق القوافل التجارية(٣).

---

(١) ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر(ت ٣٠٠هـ/٩١٢م): الأعلاق النفيسة، ص٣٤٨ـ ٣٥١، مطبعة ليدن،١٩٨١م.

(٢) عبد الحليم عويس: دولة بني حماد، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٣) البكري: المغرب، ص١٤٩. محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب، ص٢٧٨.

كذلك كان هناك طريق تجاري من تونس إلى الأندلس؛ لكونها تقع على ساحل البحر وكانت القافلة تقطع هذا الطريق في أيام، أما إلى قرطبة فمسيرة خمسة أيام كما كانت توجد طريق بين مدينة تاهرت وطرابلس مسيرة شهر على الإبل، أما الطرق التجارية بين طنجة ومدينة تاهرت فمسيرة أربع وعشرين ليلة، وهناك طريق بين طنجة وفاس، وفيه عدة منازل مثل وليلة ومدركة، وزقورة وغميرة، وهناك طريق من طنجة إلى السوس الأدنى، والسوس الأقصى(١).

ـ الصادرات:

كان البربر يقومون بصناعة أقمشة صغيرة من الصوف في مدينة تاوغست وكانوا يصدرونها إلى بلاد السودان(٢) كما كانت تصدر من مدينة تونس ثياب من الكتان تضاهي بجمالها ثياب الحرير(٣).

وأما بربر مدينة سوسة؛ فقد كانوا يصدرون أنواع الثياب؛ خاصة العمائم المنسوبة إليها، وكان يوجد بها أسواق عامرة ومليئة بالبضائع(٤).

واشتهر الكثير من البربر في بلاد المغرب بعصر الزيت وتصديره؛ منهم: بربر سوسة الذين اشتهروا بتصدير الزيت(٥)، وكان تجار إشبيلية بالأندلس وسائر المدن الساحلية يقصدون مدينة سلا لشراء الزيت؛ كما كانوا ينقلون منها

(١) ابن الفقيه: كتاب البلدان، ص٧٧.٧٨.
(٢) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٣١.
(٣) الزهري: كتاب الجغرافية، ص١٠٩.
(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٠٣.
(٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٨. أرشيبالد، لويس: القوى البحرية في حوض البحر المتوسط، ص١٩٤، ترجمة/ أحمد محمد عيسى، القاهرة، ١٩٦٠م.

أنواع الطعام إلى سائر بلاد الأندلس[١]، كذلك اشتهر بربر مدينة صفاقس بتصدير الزيت إلى مصر وصقلية[٢].

أما بربر السوس الأقصى؛ فكانوا يصدرون السكر والتمر داخلياً، وخارجياً إلى بلاد الروم والإفرنج والأندلس[٣]؛ كذلك عملوا على تصدير المعادن بأنواعها مثل أوعية النحاس، مثل بربر جزولة الذين كانوا يتاجرون بالنحاس داخلياً وخارجياً إلى مختلف البلدان المجاورة لبلاد المغرب الإسلامي، ويقايضونها بالأقمشة، والتوابل، والخيول، وكل مايحتاجون إليه[٤].

وكان بنو مدرار يصدرون من سجلماسة المواد الغذائية؛ كالقمح، والسكر، والكروم، والتمر، ويقايضونه بالثياب والمطرزات القطنية، والأقمشة الكتانية، والحريرية التي اشتهرت بها مدينة قرطبة[٥]، كما كان بربر مدينة قفصة يصدرون الفستق الشبيه بفستق الشام إلى سجلماسة والأندلس و مصر، وكانت الماشية تصدر من مدينة برقة إلى مصر[٦].

وفي عهدي دولتي بني مدرار وبني رستم كان يصدر الملح، والنحاس، والودع "الصدف" إلى بلاد السودان[٧] في حين أن بربر هوارة من مدينة أغمات

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٣٩.
(٢) البكري: المغرب، ص٢٠.
(٣) الزهري: كتاب الجغرافية، ص١١٧، ١١٩.
(٤) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٥٦.
(٥) محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب، ص٢٨٠.
(٦) البكري: المغرب، ص٤٧. زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٧، ص١٧٨ - ١٧٩.
(٧) ابن حوقل: صورة الأرض، ٩٨. الرقيق: تاريخ إفريقية والمغرب، ص١٦٦. محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب، ص٢٨١ - ٢٨٢. محمود السيد: تاريخ دولتي المرابطين

كانوا يصدرون إلى بلاد السودان النحاس الأحمر والملون، والزجاج، والصدف والأحجار، والعطور وآلات الحديد المصنوع، وثياب الصوف، والعمائم(١).

وكان بربر جبل بني زكان يصدرون الشمع، والجلود، والثيران إلى جنوا والبرتغال (٢)، في حين أن بربر مدينة أفران الذين كانوا يصنعون النحاس، ويصدرون الآنية النحاسية إلى بلاد السودان(٣)، وكذلك بربر مدينة سرت كانوا يشتغلون بالتجارة ويتنقلون ما بين مدينة سرت وبلاد مصر(٤).

بربر مدينة سبتة اشتهروا بتصدير المرجان الذي كان من أهم البضائع المحمولة بين الصحراء وبين غانا وبلاد السودان(٥)؛ كذلك عمل بربر المغرب الأقصى على تصدير الأخشاب بكثرة إلى بلاد الأندلس لكي تستخدم في بناء السفن(٦).

ولأن بلاد المغرب تقع على البحر كان بها عدة موانئ ترسو بها المراكب لغرض نقل البضائع والمتاجرة بها ومن أهم تلك الموانئ: ميناء مدينة سبتة

والموحدين، ص١٣٥.

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٣٢.

(٢) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٣٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٨٩.

(٤) أحمد بك الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ص١٧.(**الإسكندرية:** إحدى مدن مصر وتقع على ساحل بحر الروم، ويذكر انه بانيها الإسكندر الأول.(المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٦٧. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٤٣).

(٥) عبد الواحد ذي نون: الفتح والاستقرار العربي، ص٥٧. . موسى أحمد: دور القبائل البربرية، ص٣٢.

(٦) محمود إسماعيل: الأدراسة، ص٧٤.

وطنجة ومليلة التي كانت تعد من أهم المراكز التجارية بين الأندلس وشمال المغرب الأقصى؛ وكان للبربر المستقرين بتلك المناطق علاقات تجارية وثيقة بما يقابلهم في الموانئ على الشاطئ الأندلسي(١).

ومن أهم موانئ ميناء مدينة المهدية، وكان بها مرسى للسفن وكانت السفن تقصدها من بلاد الشام والأندلس وبلاد الروم محملة بالبضائع التي تباع بقناطير من الأموال، وكان يصدر من المهدية الثياب الحسنة؛ كما كان يصدر منها زيت الزيتون بعدما يتم عصره إلى سائر بلاد إفريقية وإلى بلاد الشام(٢)، كذلك ميناء فضالة الذي كانت ترسو به مراكب أهل الأندلس، وتنقل منه الحنطة، والشعير، والفول، والحمص؛ كذلك كان ينقل من هذا الميناء الغنم والمعز والبقر(٣).

كذلك كان هناك ميناءان رئيسيان للتجارة مع بلاد الأندلس، وهما ميناء تونس، وميناء طبرقة، وكانت تأتي المراكب إلى الموانئ المغربية محملة بالبضائع لأنها كانت تواجه بلاد الأندلس(٤).

. الواردات:

مثلما كانت السفن التجارية تخرج من الموانئ البحرية لبلاد المغرب محمله بالبضائع المغربية إلى الدول المجاورة لها على البحر المتوسط، كانت في الوقت نفسه تستقبل السفن المحملة بالبضائع التجارية القادمة من تلك الدول(٥)، أما

(١) عبد الواحد ذو نون: الفتح والاستقرار العربي، ص٥٧.
(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٨١.٢٨٣.
(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٤٠.
(٤) البكري: المغرب، ص٣٤. مجهول: الاستبصار، ص١٢٠.
(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٤٠.

بربر جزولة؛ فكانوا يستوردون الأقمشة والتوابل والخيول من البلدان المجاورة لبلاد المغرب(١).

كذلك كانت تعود القوافل من بلاد السودان محملة بالذهب، وخشب الأبنوس، وسن الفيل، والجلود، والرقيق السود(٢)، وكان تجار إشبيلية يأخذون الزيت ويبيعونه في مدينة سلا ويأخذون منها القمح ويصدرونه إلى سائر بلاد الأندلس(٣).

كذلك استورد البربر الحبوب من مصر في سنوات القحط(٤)، كما كان يُستورد العبيد الصقالبة والبيزنطيين والفرنجة، والجواري الروميات، الأندلسيات، وجلود الخز، والوبر عبر البحر الغربي من بلد الصقالب، وشمال الأندلس(٥).

كذلك كان يُستورد من السودان الذهب، والعاج، والرقيق(٦)؛ بالإضافة إلى الأبنوس، وسن الفيل(٧)، فعلى سبيل المثال عبد الرحمن بن حبيب السلمي اهتم بذهب السودان من خلال تأمين طرق القوافل بين مدينتي تاومكت

(١) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٥٦.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ٩٨. الرقيق: تاريخ إفريقية والمغرب، ص١٦٦. محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب، ص٢٨١- ٢٨٢. محمود السيد: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، ص١٣٥.

(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٢٣٩. زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٥، ص٨٤.

(٦) زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٧، ص١٧٩.

(٥) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٨٤.

(٦) زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص٤٩٨.

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص١٦٤. محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب، ص٢٨٢.

وأودغست[١]؛ كما كان يستورد البربر من المشرق بعض المنتجات الفاخرة منها المنسوجات والأسلحة[٢].

الأسواق:

السوق هو المكان الذي يتم فيها البيع والشراء بين الناس، ويكتظ بالمتاجر والحوانيت، ويكثر فيها الباعة والتجار وأصحاب الحرف[٣]، ولقد انتشرت الأسواق في مدن بلاد المغرب الإسلامي، وكانت مليئة بمختلف البضائع ومتطلبات الحياة اليومية، وأيضا كانت أسواق بلاد المغرب تعتبر مركزاً للتبادل التجاري بين مدن المغرب وخارجها؛ مثل أسواق القيروان التي اشتهرت بتوزيع الحرف والصناعات في مكانها[٤]، وكان لكل سلعة سوق يخصها[٥]، وتنقسم الأسواق إلى قسمين:

- **الأسواق الأسبوعية:**

كانت الأسواق الأسبوعية تعقد بكل مدينة يوما واحداً في الأسبوع لبيع البضائع وشرائها والمقايضة فيما بينهم؛ مثل سوق الأحد، أو الخميس أو

(١) البكري: المغرب، ص١٥٧.

(٢) مجهول: الاستبصار، ص٢١٧.

(٣) عبد الوهاب حسن: وريقات عن الحضارة العربية بإفريقية، ق/١، ص٥٧. ٦١، مكتبة المنار، تونس، ط(٢)،(د. ت). الملصي: القبائل اليمنية في المغرب، ص١١٢.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٣. محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، ص٢٧٣.

(٥) عفيفي محمود إبراهيم: مظاهر الحضارة في بلاد المغرب منذ انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر في منتصف القرن السادس الهجري، ص١٧٣، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٠م.

الجمعة[١]، فعلى سبيل المثال كان يعقد سوق بمدينة طنجة يوم الثلاثاء[٢]، كذلك مدينة مكناسة كان يوجد بها سوق مشهور ومنظم، وكان يُعقد يوم الخميس، وكان يجتمع فيه جميع بربر بني مكناس يقصده القريب والبعيد[٣].

أما بربر مكناسة؛ فكان معظمهم يشتغلون بالتجارة والصناعة، وكان لهم سوق يعقد كل يوم إثنين من كل أسبوع خارج مدينة مكناس لتبادل البضائع، وكانت الأسعار فيه زهيدة[٤]، كذلك كان يعقد في جبل زكان سوق يوم السبت، ويأتي إليه الكثير من التجار المحليين لشراء السلع وبيع ما معهم[٥].

- **الأسواق السنوية:**

هي التي تُعقد مرة واحدة في السنة مثل يوم عاشوراء واشتهرت مدينة تونس، ومدينة قفصة بهذه الأسواق[٦]، كذلك منطقة جزولة كان لهم سوق كبير يقام في يوم مولد النبي محمدﷺ وكان يستمر أكثر من خمسة عشر يوماً[٧].

- **الأسواق الدائمة:**

هذه الأسواق غير مرتبطة بأيام معينه أو أسبوعية؛ وإنما هي أسواق مفتوحة طوال أيام السنة يمارس فيها البيع والشراء ويجلب إليها جميع أنواع البضائع، وتفتح أبوابها بدون انقطاع، ولم نعثر في المصادر التاريخية التي رجعنا

(١) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص٣١٢.
(٢) البكري: المغرب، ص٣٦. الملصي: القبائل اليمنية في المغرب، ص١١٨.
(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٢٤٥.
(٤) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٢٢٠.
(٥) المصدر نفسه، ص٣٢٢.
(٦) البكري: المغرب، ص٣٦. عبد الواحد ذنون: الفتح والاستقرار العربي، ص٥٧.
(٧) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص١٥٧.

إليها على ذكر لها؛ حيث اقتصر حديثها على الأسواق الأسبوعية والسنوية ربما لتميزها بعوارض الأيام.

ـ تنظيم الأسواق:

كانت الأسواق عامة في المغرب وغيرها تُقام قريبا من المسجد؛ فمثلاً كانت أسواق مدينة القيروان تحيط بالمسجد الجامع للمدينة[١]، وتبدوا أهمية القيروان بحكم أنها تعتبر أول مدينة تم تأسيسها من قبل المسلمين الفاتحين وعاصمة لهم، فكان سوقها منظم ويقسم المدينة إلى نصفين؛ لأنه كان عبارة عن شارع كبير متصل من الجنوب إلى الشمال، تصطف حوانيته على اليمين وعلى اليسار[٢]، ويذكر أن الوالي يزيد بن حاتم الذي عينه يزيد بن عبد الملك عمل على تنظيم أسواق مدينة القيروان وترتيبها؛ إذ جعل لكل صناعة مكاناً مخصصاً[٣]، ومن ثم طبق هذا النظام في ترتيب الأسواق على بقية مدن المغرب.

كذلك أسواق مدينة فاس كانت منظمة حول الجامع فكان إلى جهة الغرب المكتبات وإلى الجنوب يوجد باعة الأحذية، والخفاف، وإلى الشرق باعة الأواني النحاسية، ومن جهة الباب الرئيس للجامع دكاكين باعة الفاكهة، ويأتي من بعدهم باعة الشمع، ومن ثم يأتي باعة الخيطان، وبعد ذلك باعة الزهور، كذلك تأتي من بعدهم دكاكين باعة شراب النبيذ، ويأتي باعة الحليب؛ حيث يرسل المزارعون حليبهم في أوعية من خشب مطوقة بالحديد، وبعد ذلك تأتي دكاكين باعة القطن. وإلى الشمال من جهة الجامع تنتشر دكاكين صناع السيوف والسكاكين وصداري

(١) ابن الدباغ: معالم الإيمان، ج١، ص٧.

(٢) حسن حسني عبد الوهاب: بساط العقيق، ص٥، تونس، ١٣٣٠، (د. م).

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٦٨.

الخيل، ويأتي بعدهم باعة الملح والجص، ثم يأتي باعة الأواني الخزفية ذات الألوان الجميلة، ومن ثم دكاكين باعة اللحم المفروم الذي كان يُقلى بالزيت مع كمية من التوابل، أيضا كان من جهة الشمال سوق العشابين ويليها دكاكين التبغ ثم محلات الأطعمة المقلية؛ حيث كان يباع فيها الزلابية والسمك المقلي، وكان من عادة الفلاحين أن يتناولوا الطعام في الصباح الباكر في تلك الدكاكين قبل أن ينصرفوا إلى أعمالهم في الحقول، وبعد ذلك يأتي باعة الزيت والسمن والعسل والجبن الطازج والزيتون والجزر، ومن ثم دكاكين الصيادين الذين يصطادون السمك من نهر فاس ويأتي بعد الصيادين دكاكين صناع أقفاص الدجاج، والتي كانت تصنع من القصب وفي الأخير باعة الدقيق، وباعة الحبوب والخضار(١).

ـ الرقابة على الأسواق:

بما أن الأسواق في بلاد المغرب الإسلامي كانت مزدهرة بالنشاط التجاري؛ فكان لابد أن تكون هذه الأسواق تحت إشراف ما يسمى بالمحتسب، ولم أجد ذكراً دقيقاً في المصادر التاريخية التي أطلعت عليها عن نشأة نظام الحسبة في بلاد المغرب من بداية الفتح؛ لكنه ظهر في عهد يزيد بن حاتم المهلبي والي بلاد المغرب(٢)، واسم المحتسب سنحون بن سعيد التنوخي الذي كان يعمل محتسباً في عهده واهتم الوالي بالأسواق وجعل لها قاضياً(٣).

كانت مهمة المحتسب النظر في أنواع المعايش، ومراقبة الغش في السلع؛

(١) الحسن الوزان: وصف إفريقية، ص٢٣٩ـ٢٤٣. روجي: فاس قبل الحماية، ج١، ص٥١٩ـ٥٢٢.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص٩٣.

(٣) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص٥٦٩. حسن حسن عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ج١، ص٢٣٤، مكتبة المنار، ط(٢) ١٩٧٢م.

فكان يعاقب على الغش في المبيعات بالطرد من السوق، ويعمل على مراقبة الموازين والمكاييل[١]، ومن عمله منع مزايدة الأثمان، والغش في المبيعات، وكان ينهي عن بيع ما يخص الملاهي مثل الخمر والعود، وكان ينهي عن عصر الخمر، كذلك كان يراقب من يغش العسل فيخلط العسل الجيد بالرديء[٢]، فإذا اشتراه رجل وهو لا يعرف بأنه مغشوش فله الحق أن يرده للبائع ويأخذ ثمنه، كذلك كان المحتسب يأمر أصحاب الدكاكين بكنس الطين والتنظيف أمام دكاكينهم[٣].

(١) يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر الكناني الأندلسي(ت٢٨٩هـ/٩٠١م): أحكام السوق، ص٣١ـ ٣٤، تحقيق/ حسن حسني عبد الوهاب ومحمود مكي، نشر الشركة التونسية، تونس، ١٩٧٥م،(د. ط).

(٢) الونشريسي: المعيار المغرب، ج٤، ص٤١٢.٤١٣.

(٣) الملصي: القبائل اليمنية في المغرب، ص١٢١.

obeikan.com

obeikan.com